معنى الزهد

وليس معنى ما تقدم أن الزهد يعنى ترك الدنيا بالكلية والسعى على تحصيل الرزق الحلال والسعى إلى ما هو أفضل فالمؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، ولكن عباده وتقوى ثم سعى واجتهاد قدر استطاعته فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها وتوكل على الله ثم الرضى بما قسمه الله له ، فهو مقسم الأرزاق ومهما أوتى الإنسان من علم وسعى قدر طاقته فلن يتحصل إلا على ما كتبه الله له، فلابد أن يكون بما عند الله أوثق مما عنده فيترك الحرام مهما كثر ويقنع بالحلال وإن قل بل ويترك الحلال إن شك فيه مخافة الوقوع فى الحرام .

قال ﷺ : « **من أصبح والدنيا همه فرق الله أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته منها إلا ما كتبه الله له ، ومن كانت الآخرة همه جمع الله أمره وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة** » (١) .

جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال : يارسول الله دلنى على

(١) ضعيف : أخرجه الترمذى « ٢٤٦٥ » وأحمد « ١٨٣/٥ » وفى إسناده يزيد بن أبان القرشي ، أجمعوا على ضعفه .

عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ، فقال : « ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس »[1] .

فلو عرف ذلك زهد فى الدنيا وكانت فى يده لا فى قلبه حتى تكون ممر للآخرة .

قال تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[2] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[3] .

---

(١) صحيح : أخرجه ابن ماجة « ٤١٠٢ » والطبرانى فى الكبير « ٥٩٧٢ » والحاكم « ٣١٣/٤ » وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم « ٩٢٢ » .

(٢) سورة الحديد الآية « ٢٠ » .

(٣) سورة العنكبوت الآية « ٦٤ » .

هذه هى حقيقة الدنيا وهى أيام معدودة ، وإن ظنها سنين طويلة .

قال تعالى : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) ﴾ (١) .

حقيقة يغفل عنها الإنسان ، يجرى يلهث وراء ماهو إلى زوال وينسى ما يبقى وهو العمل الصالح الذى يزكيه عند ربه ويرفعه درجات ودرجات بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض فى الحياة الأبدية فهى إما جنة أبداً ونعيم مقيم ، وإما نار أبداً وعذاب مقيم .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ

(١) سورة المؤمنون الآيات « ١١٢ - ١١٥ » .

نجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) ﴾ (٢) .

وصدق الله العظيم وحاشا لله أن يكون ظالماً ، فقد أرسل إلينا الرسل وبيّن لنا فى الكتاب لكى لا يكون للظالمين حجة على الله ، إلا أن الإنسان كفور ظالم لنفسه يجرى وراء الأهواء تابعاً لعدو له يراه من حيث لا يراه

(١) سورة فاطر الآيات « ٣٦ ، ٣٧ » .
(٢) سورة الزخرف الآيات « ٧٤ – ٧٨ » .

هـو ، قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٢٨) ﴾ (١) .

هكذا يصور الشيطان لأوليائه الحق باطلاً ، والباطل حقاً كما سبق أن أوضحنا بالتعلق بالآباء والكبراء ، بل ويدعى أن الله أمرهم بها والله يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر .

وفى المقابل نجد أهل الجنة فى سعادة ونعيم مقيم لا يخطر على قلب بشر وما لا عين رأت ولا أُذن سمعت .

قال ﷺ عن رب العزة قال : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

(١) سورة الأعراف الآيات « ٢٧ ، ٢٨ » .

قلب بشر ، فاقرأوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (٣) .

هذا هو النعيم الحقيقى الخالد الذى لابد أن يسعى إليه كل عاقل راشد ، قال تعالى: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (٤٧) ﴾ (٤) .

هكذا نرى أن الزهد ليس ترك الدنيا بالكلية ، ولكن نجعلها وسيلة للوصول إلى الجنة ، وليست غاية ، فتكون

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤) .
(٢) سورة فاطر الآية (٣٣) .
(٣) سورة الدخان الآيات (٥١ ، ٥٢) .
(٤) سورة الشورى الآية (٤٧) .

فى يده وليست فى قلبه يملكها ولا تملكه ، تأتى إليه ولا يجرى هو وراءها ناسياً ربه ودينه ، يبيع الآخرة بعرض الدنيا الزائل ، فمن أراد الدنيا فعليه بطاعة ربه ومن أراد الآخرة فعليه بطاعة ربه ومن أرادهما معاً فعليه بالقرآن .

علامة محبة الله للعبد وعلامة محبة العبد للرب :

أما علامة محبة الله للعبد ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ (١) .

فمن حب الله للعبد : أن يدفع عنه الشواغل عن عبادته ويعينه على الطاعة ويقذف النور فى قلبه ، فيرى الحق حقاً والباطل باطلاً ، ويحب القرآن وأهل الصلاة يأنس بمناجاته ، ويرضى بقضائه ويصبر على بلائه ، وكذلك لا يهاب الموت ويستعد له ، قال ﷺ : « **من أحب لقاء الله أحب الله لقائه** » (٢) .

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٢٢ » .

(٢) صحيح : أخرجه البخارى « ٦٥٠٧ » ومسلم « ٢٦٨٣ » ، عزاه الهندى فى كنز العمال « ٢١٧/١ » للحكيم الترمذى وأبى نصر السجزى فى الإبانة ، وقال السجزى : حسن غريب » .

يحب أوامر الله ونواهيه ، قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »[1] ، ويحب القرآن ويتلذذ بسماعه وبقراءته لأنه كلام من أحب ، ورسالة منه إليه ، ويحب الرسول ﷺ الذى عرفه بربه ، وأرشده إلى الحبيب ، وعلامة حب الرسول ﷺ طاعته فى كل ما أمر ونهى ، يحب أهل طاعته ويكره أهل المعاصى .

قال ﷺ : « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان »[2] ، لا يملّ العبادة ، يفرح بالوقوف بين يدى الله تعالى مقبلاً عليه بكل جوارحه راجياً عفوه طامعاً فيما عنده من ثواب ، خائفاً وجلاً ألا يقبل منه ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[3] .

---

(١) أخرجه بسنده الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد « ٤٦٩/٤ » رقم « ٢٢٣٩ » ، والبغوى فى شرح السنة « ١٠٤ » وأورده النووى فى الأربعين النووية الحديث « ٤١ » وقال ك حديث صحيح .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود « ٤٦٨١ » .

(٣) سورة المؤمنون الآية « ٦٠ » .

آثار المعاصي :

١ - حرمان العلم ، ولإن العلم نور يقذفه الله في قلب المؤمن يهديه به إلى صراطه المستقيم ، أما المعصية تطفئ ذلك النور ، فيصبح في القلب ظلمة لا يرى بها الحق ، وتقوى حتى تظهر على الوجه فيصير أسوداً ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١) .

٢ - حرمان الرزق ، قال تعالى : ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ (٢) ، قال ﷺ : « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » .

٣ - وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله ، فلا يأنس بذكر الله ، وكذلك بينه وبين الناس لا سيما

---

(١) سورة الجاثية الآية « ٢٣ » .

(٢) سورة نوح الآية « ١١ » .

أهل الصلاح ، ويحرم بركة الانتفاع بهم حتى يجد الوحشة بينه وبين أهله ، وبينه وبين نفسه .

٤ – وهن فى القلب والبدن ، فيصبح ضعيف يقهره أهل التقوى والصلاح .

٥ – حرمان الطاعة فلا يوفق لعمل الصالحات .

٦ – زيادة الإثم ، فمن عقوبة السيئة ، السيئة بعدها ، ومن ثواب الحسنة ، الحسنة بعدها ، فالذى اعتاد المعاصى يصعب عليه مفارقتها ، بل ويدعو إخوانه إليها فيصير هو نفسه شيطاناً ولا يزال يألف المعاصى حتى يسلط الله عليه الشياطين تؤزه إليها أزاً ، قال تعالى: ﴿ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) ﴾ (١) .

---

(١) سورة الزخرف الآيات (٣٥ ، ٣٦) .

ومن كثرة اعتياده فعل المعاصي لا يستقبحها ولا يستحي منها لا أمام نفسه ولا أمام الناس ، بل يصور له شيطانه أنها متعة وأنه حر يفعل ما يشاء ، ولا يتوب ولا يستغفر وخاصة إذا لم يجد من يستقبحها ويلومه على فعلها ، وإن تاب تكون توبة الكذابين لأنه مصر عليها فلا يتوب الله عليه .

قال ﷺ : « **كل أمتي معافى إلا المجاهرون ، وإن من المجانة أن يعمل الرجل العمل بالليل ويصبح وقد ستره الله فيكشف ستر الله عليه ، ويقول : يافلان عملت البارحة كذا وكذا** » [1] .

٧ - والمعصية سبب لهوان العبد على ربه فلا يكرمه أحد ، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري « ٦٠٦٩ » ومسلم « ٢٩٩٠ » .

وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨) ﴾ [1] ، وإن عظمهم الناس لحاجتهم إليهم فهم يحقرونهم فى قلوبهم ويذمونهم فيقال الفاجر الفاسق العاصى ... إلخ .

٨ – وشؤم الذنوب تعم غيره من الناس إلا الآمرين بالمعروف والناهون عن المنكر فأولئك هم الناجون ، أما الدواب فهى تلعن العاصين ، قال مجاهد : إن البهائم تلعن العاصين إذا أمسك المطر ، كما أنه معلون فى القرآن ، لعن الله من أفسد فى الأرض ، من كتم العلم ، ومن قطع الرحم، والذين يرمون المحصنات ، ولعن ﷺ : « **الراشى والمرتشى وآكل الربا وشارب الخمر** » [2] ، واللعن يعنى

---

(١) سورة الحج الآية « ١٨ » .

(٢) « لعن آكل الربا » عند مسلم برقم « ١٥٩٨ » ولعن الراشى والمرتشى عند أحمد « ١٦٤/٢» وأبو داود « ٣٥٨٠ » والترمذى « ١٣٣٧ » وقال : حديث صحيح ، ولعن شارب الخمر عند أحمد «٩٧/٢» وأبو داود « ٣٦٧٤ » .

الطرد من رحمة الله كما لُعن إبليس بفسقه واستكباره على أمر الله .

٩ – والملائكة لا تستغفر للعصاة ، إنما لمن اتبع سبيل الله .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ (١) .

١٠ – ومن كثرة فعل المعاصى والمجاهرة بها تطفئ الغيرة فى قلوب الناس فلا ينكرونها حتى المؤمنون منهم، فيصبح المنكر معروفاً ويهون فى أعين الناس كما حدث عندما خرجت المرأة سافرة فقلدها الناس ، ثم خلعت الخمار فهان فى نظر الأخريات وقلدوها ، حتى أصبحت عارية تماماً تلبس ما يسمى بالمايوه وتمشى به على شاطىء

(١) سورة غافر الآية « ٧ » .

البحر فلا يُنكر عليها أحد وكان أصلاً تقليداً بالأجانب غير المسلمين ، وهذا ما حذرنا ربنا عز وجل منه ، وحذرنا رسول الله ﷺ وأمرنا بمخالفتهم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) .

وقال ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم » (٢) ، أى مثلهم فى الكفر .

وكيف نكفر ونحن فى أيدينا كتاب الله عز وجل فيه آيات بيّنات نزلت فى أمر المسلمات بارتداء الحجاب ، فهو حجة على كل من عصى الله وقد يسّر لنا الله عز وجل فى هذا الزمن قراءته أو سماعه من المذياع أو الكاسيت ، أما

---

(١) سورة آل عمران الآيات « ١٠٠ ، ١٠١ » .
(٢) حسن : أخرجه أحمد « ٥٠/٢ » وأبو داود « ٤٠٣١ » .

الرجال فهم يشجعون المرأة على هذا الفعل ، بل وينهاها عن لبس الحجاب ، أى يأمرون بالمنكر إذا هى أرادت طاعة ربها ، أليس هذا من صفات المنافقين الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف كما جاء فى كتاب الله عز وجل ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) ﴾ [1] ، أما ﷺ فقد وصف الرجل الذى لا يغار على نسائه بالديوث وهو لا يشم رائحة الجنة .

١١ - وإذا انطفأت الغيرة من القلب ذهب الحياء وبذهابه يذهب الخير كله لأنه حياة القلوب ، فإذا ذهب مات القلب ، قال ﷺ : « الحياء خير كله » [2] .

١٢ - المعاصى تخرج صاحبها من دائرة الإيمان ،

---

(١) سورة التوبة الآية « ٦٧ » .

(٢) سبق تخريجه .

قال ﷺ : « لا يزنى الزانى وهو مؤمن »[1] .

وبالتالى يفوته ثواب المؤمنين، ومنها الأجر العظيم ، قال تعالى : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) ﴾[2] ، فالإيمان سبب كل خير فى الدنيا والآخرة ، والمعاصى سبب كل شر إلا أنها لا تخرجه من الإسلام إلا إذا أصروا استكبروا وأنكر أوامر الله أو ماهو معروف من الدين بالضرورة ونزلت فيه قرآن أو حديث صحيح .

وفى المقابل نجد عباد الله المخلصين الذين أخلصوا العمل لله عز وجل فأخلصهم الله لطاعته وقربهم منه وهى درجة الإحسان ، هؤلاء يصرف الله عنهم الشيطان فليس له عليهم سلطان سواء كانوا شياطين الإنس أو الجن فلا يخطر

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى « ٢٤٧٥ » ومسلم « ٥٧ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١٤٦ » .

بياليهم فعل المعاصي ولا يقربها ، قال تعالى : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) ﴾ [١] .

أما المؤمن فهو يجاهد نفسه ، أما من اعتاد المعاصي فنفسه هي الأمارة بالسوء وهذا أيضاً لا يأتيه الشيطان ، فقد اطمأن إليه وأصبح هو نفسه شيطاناً مثله يدعو الناس لتقليده حتى يدخلهم مدخله من النار .

١٣ - المعاصي تجعل الجوارح لا تطاوع صاحبها على الطاعة ولا ذكر الله فإذا وقع في شدة أو كرب فإنه لا يذكر الله ولا يتضرع إليه ، وإن ذكره فهو لاهٍ ساهٍ .

١٤ - ومن آثار المعاصي أنها تزيل النعم وتحل بهم النقم ، قال عليّ بن أبي طالب : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ

(١) سورة ص الآية « ٨٣ » .

أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١) .

فإذا غيّر العبد الطاعة بالمعصية غيّر الله النعمة بالنقمة ، وإذا غيّر المعصية بالطاعة ، غيّر الله عليه العقوبة بالعافية والذل بالعز .

١٥ – أى عقل لمن آثر الفانية على الباقية ، فالعقل هو الذى تقوم عليه الحجة ، قال تعالى : ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿١٦٥﴾ ﴾ (٢) ، فالمعصية تؤثر فى نقصان العقل فلا تجد عاقلين أحدهما : عاصٍ والآخر مطيع ، إلا كان عقل المطيع أرجح ورأيه أسد ، لذا كان خطاب القرآن للأولى الألباب ، قال تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ

---

(١) سورة الشورى الآية « ٣٠ » .

(٢) سورة النساء الآية « ١٦٥ » .

خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧) ﴾[1] .

١٦ - المعاصى تستدعى نسيان الله لعبده ويوكله إلى نفسه ، فلا يوفق لما يصلح حاله فى الدنيا ويفتقر حاله ، ويذل وإن لم يفتقر فلا يتمتع بما جمع من مال ويوكله إلى نفسه الأمارة بالسوء وشيطانه .

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) ﴾[2] ، فيبعد عنه الملك الموكل به الذى يعينه على فعل الخير ، وإصلاح حاله فى الدنيا والآخرة ، ويقيض الله له شيطاناً قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٩٧ » .
(٢) سورة الحشر الآيات « ١٨ ، ١٩ » .

السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [1] .

١٧ - كثرة المعاصى تجعل القلب قاسياً وتُنزع منه الرحمة وخاصة عند ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فتنزل عليهم لعنة الله ، واللعن هو الطرد من رحمة الله ، ومن آثارها قساوة القلب .

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [2] .

وقال ﷺ : « لما وقت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بضعهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصو وكانوا

(١) سورة فاطر الآية « ٦ » .
(٢) سورة المائدة الآية « ١٣ » .

يعتدون »[1].

وكيف تنتظر رحمة فى قلوب من لم يعرف لله حقاً وبعدوا عن الدين نتيجة ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ كيف يبرُّ ابناً أباه وهو لم يعلم كيف يبّر ربه ويشكره ويعبده ؟ وكيف تحنو أم على ولدها وهى لاهية عن عبادة ربها مشغولة بالموضة ومشاهدة الأفلام ؟ .

أما الجار فلا يسأل عن جاره ولا حتى يعرفُ اسمه ، والأقارب كلٌ مشغول بحاله أو مشغول بحسد أقاربه ولا يصل رحمه ، وإن وصلها فلحاجة له عندهم ، هذه هى آثار اللعنة وهكذا ضرب الله قلوب المسلمين بعضهم ببعض لتركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبالتالى بعدهم عن ربهم وطاعته ، فالإيمان يرقق القلب ويملأه رحمة وشفقة لا بالإنسان فقط ولكن يشمل الرحمة بالحيوان والطير ، فالكل يشكو ولا أحد يبحث عن سبب هذ البلاء، أما إذا تدبرنا القرآن لوجدنا فيه الحل لكل ما نشكو منه .

---

(١) سبق تخريجه .